اوريكـة

فَجِيعَتكِ الهَـــوْجَـــاءُ أفْقَـــدَتِ الصّبْـــرَا
وَمَأسَـــاةُ مَن وَدَّعْتِ ضِقْنَـــا بِهَـا صَـــدْرا
عَجِبْنَـــا لِفَـــرْدَوْسٍ يَـــرَوعُ أهْـــلَـــهُ
وَلَمْ يَأمَنُـــوا فِيـــهِ مِنَ الـــزَّمَـنِ الغَـــدْرَا !
جِبَـــالُـكِ أهْـــرَامٌ تُتَـــوِّجُ هَـــامَهَـــا
أكَـــالِيلُ ثَلْجٍ تَفْضَحَ الأنْجُـم الـــزُهْـــرَا
شَـــوَامِخُ تَحْكِـي مِنْ نِضَـــالِ أسُـــودِهَـــا
مَـــلاَحِمهَـــا الكُبْـــرَى وَأيَّـــامَهَـــا الغُـــرَّا
تَفَجَّـــرَ فِيهَـــا كَـــوْثَـــرٌ فَـــوْقَ كَـــوْثَـــر
وَنَهْـــرٌ يُجَـــارِي فِي تَـــدَفُقِـــهِ نَهْـــرَا !
يَسِيلُ زُلاَلاً مُسْتَطَـــابـــاً وَخَمْـــرَةً
إلاَهِيَّـــةً تُنْسِـي أخَـــا الخَمْـــرَة الخَمْـــرَا !
ويَجْـــرِي إلَـى الـــوَادِي الحَبِيبِ صَبِيبُـــهُ
لِيَبْـــدَأ فِي الـــوَادِي مَسِيـــرَتَـــهُ الكُبْـــرَى
رَبِيعُـكِ نَيْـــرُوزٌ وَصَيْفُـكِ وَاحَـــةٌ
وَمُنْتَجَعٌ لاَبَـــرْدَ فِيـــهِ وَلا حَـــرَّا !
تُطِـلُّ عَلَـى وَادِيـكِ مِن كُـلّ رَبْـــوَةٍ
خَمَـــائِلُ فَـــاحَتْ فِي جَـــوَانِبِـــهِ عِطْـــرَا

فَمَـــا أبْصَـــرَت عَيْنِي فَضَـــاءً وَلاَ سَنًى
وَلاَ طَلْعَـــةً ضَـــاءَتْ مَـــلاَمِحُهَـــا بِشْـــرَا
كَمَـــا أنْتِ إشْـــرَاقـــاً وَفَيْضَ وَضَـــاءَة
وَمُنْطَلَقـــاً لِلـــرُّوحِ تَسْلُـــو بِـــهِ الأسْـــرَا

* ● *

فَكَيْفَ اسْتَحَـــالَـتْ جَنَّتِي بَعْـــدَ أُنْسِهَـــا
خَـــرَابـــاً وَعَـــادَت بَعْـــدَ بَهْجَتِهَـــا قَبْـــراً ؟
وَأيَّـــةُ رِيـــحٍ صَـــرْصَـــرٍ عَصَفَـتْ بِهَـــا
وَسَيْلٍ أتِـــيٍ جَـــــاءَ يَقْتَلِعُ الصّخْـــــرَا ؟
وَرَعْـــدٍ تَمِيـــدُ الأرْضُ مِـنْ صَعَقَـــاتِـــهِ
وَمَـوْتٍ يُـــذِيقُ النّـاسَ مِن كَأسِـــهِ المُـرّا !
وَيَعْلُـــو هَـــدِيـــرُ السّيْلِ حَتَّى تَخَـــالُـــهُ
زَلاَزِلَ فِي الآذَانِ تَمْـــــلأُهَـــــا وَقْـــــرَا
كَصَيْحَـــةِ عَـــادٍ دَمَّـــرَت كُـل عَـــامِـــرٍ
فَلَمْ يَنْـجُ مِنْهَـــا مَنْ أقَـــامَ وَمَنْ فَـــرّا !
تَهَـــاوَت مَبَـــانِيهَـــا العِجَـــافُ كَأنَّهَـــا
هَشِيمٌ وَقَـــدْ كَـــانَتْ لِسَـــاكِنِهَـا قَصْـــرَا !
وَمِنْ لَمْ يَمُتْ فِيهَـــا غَـرِيقـــاً فَقَـــدْ قَضَى
بِمَـــا شَـــاهَـدَتْ عَيْنَـــاهُ مِن هَـوْلِهَـا ذُعْـرَا !

وَلَـــوْلاَ رِجَـــالٌ مِن بَنِيهَـــا بَـــوَاسِلٌ
تَحـدَّوا هَـوَادِي السَّيْلِ وَاقْتَحَمُوا الـوَعْـرَا
لَمَـــا سَلِمَ النّـاجُـــونَ مِن قَبْضَـةِ الـــرّدَى
وإعْصَـــارِهِ المَجْنُـــونِ وَالتُهِمُـــوا طَمْـــرَا !
فَكَمْ مِن غَـــرِيقٍ لَمْ يَجِـــدْ يَـدَ مُنْجِـــدٍ
هَـوَى فِي مَجَـارِي المَـوْتِ وَاسْتَقْبَل القَعْـرَا
وَأُمٍ حَنُـــونٍ حَـــاصَـــرَ السَّيْلُ طِفْلَهَـــا
وَهَبّتْ لِتُنْجِيـــهِ فَضَـــاعَـت هِيَ الأُخْـــرَى !
وَشَيْخ عَلَـى جِسْـــرٍ تَـــرَنَّحَ فَـــوْقَـــهُ
أطَـاحَ بِـــهِ الإعْصَـارُ فَـافْتَقَـدَ الجِسْـــرَا !
مَيَـــادِينُ جَـــالَ المَـــوْتُ فِي حَلَبَـــاتِهَـــا
وَخَـــلَّـــفَهَا مِن بَعْـــدِ جَـــوْلَتِـهِ صِفْـــرَا !
كَأن لَـمْ تَكُنْ فِيهَـــا مَجَـــالِسُ لِلْهَـــوَى
وَلاَ كَـــانَ لِلْعُشَـــاقِ فِـي ظِلِهَـــا ذِكْـــرَى !
وَلاَ كَـــانَ فِيهَـــا لِـــلأرَاجِيحِ وَالصِبَـــا
مَـلاَعِبُ تُنْسِي الشيْخَ فِي لَهْـوِهَـا العُمْـرَا !
فَكَيْفَ اسْتَحَـــالَ العُـــرْسُ فِيهَـا مَـــآتِمـــاً
وَعَادَتْ وُفُودُ الأُنْسِ مِن عُـرسِهَا حَسْرَى ؟
أتَـــوهَـــا عَلَـى أنَّ المُقَـــامَ ثَـــلاَثَـــة
فَطَـــابَ لَهُم حَتَّى أقَـــامُـــوا بِهَـا عَشْـــرَا !

وَلَــوْ دَفَنُــوا أكْبَــادَهُـم بَعْــدَ مَــوْتِهَــا
لَخَفَّ الأسَــى لَكِنَّهُم دَفَنُـــوا الصّبْـــرَا !
فَمَــا كَــانَ مَنْ مَــاتُــوا ضَحَــايَــا فَجِيعَـةٍ
وَلَكِنَّـــهُ الهَــوْلُ الــذِي قَسَمَ الظَّهْـــرَا !
وَقَــالَ مُنَــادٍ فِي السَّمَـــاء لَهَــا : اقْلِعِي
وَلِلْمَــاء : غِض مِن بَعْــدَمَــا أنْجَــزَ الأمْــرَا !
وَأسْفَــرَ ضَــوْءُ الفَجْــرِ عَنْ شَــرِ مَشْهَــدٍ
فَظِيعٍ فَلَيْتَ اللّـــه لَمْ يُطْلِعِ الفَجْـــرَا !

* ● *

سَقَى اللّـــهُ أغْمَــاتــاً سَحَـــائِبَ غَيْثِــهِ
وَكَفّتْ يَـــدَاهُ عَنْ مَـــزَارِعِنَـــا القَطْـــرَا !
مَشِيئَـــــةُ رَبٍ لاَيُـــــرَدُّ قَضَـــــاؤُهُ
وَشَـــرّ سَنَجْنِي مِنْــهُ فِي غَــدِنَــا خَيْــرَا !
فَكَمْ نِقْمَـــةٍ فِــي طَيِهَـــا ألْفُ نِعْمَـــةٍ
وَعُسْـــرٍ رَأيْنَــا بَعْــدَ شِــدَّتِــهِ العُسْــرَا !
وَلَيْسَ لِمَخْلُـــوقٍ قَـــرَارٌ وَلاَ هَـــوىً
وَإنْ كَــانَ يَبْــدُو فِي تَصَــرُّفِــهِ حُــرا !
وَلاَ نُكِبَتْ يَـــوْمـــاً بِـــلاَدِي بَعْــدَهَـــا
وَلاَ لَقِيت فِــي ظِلِ عَـــاهِلِهَـــا شَـــرًّا !